الإخلاص ..

للشيخ عبد المحسن العبّاد - المدرّس في الجامعة

هو في اللغة تخليص الشيء وتجريده من غيره فالشيء يسمى خالصا اذا صفا عن شوبه وخلص عنه ويسمى الفعل المصفى المخلص من الشوائب اخلاصا وفي الاول قوله تعالى : « وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » فاللبن الخالص ما سلم وصفا من الدم والفرث ومن كل ما يشوبه ويكدر صفاءه ومن الثاني قوله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له »

وفي الاصطلاح : تصفية ما يراد به ثواب الله وتجريده من كل شائبة تكدر صفاءه وخلوصه له سبحانه ·

منزلته : الاخلاص هو اساس النجاح والظفر بالمطلوب في الدنيا والاخرة فهو للعمل بمنزلة الاساس للبنيان وبمنزلة الروح للجسد فكما انه لا يستقر البناء ولا يتمكن من الانتفاع منه الا بتقوية اساسه وتعاهده من ان يعتريه خلل فكذلك العمل بدون الاخلاص وكما ان حياة البدن بالروح فحياة العمل وتحصيل ثمراته بمصاحبته وملازمته للاخلاص وقد اوضح ذلك الله في كتابه العزيز فقال « **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** » **ولما كانت اعمال الكفار التي عملوها عارية من توحيد الله واخلاص العمل له سبحانه جعل وجودها كعدمها فقال « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » والاخلاص احد الركنين العظيمين اللذين انبنى عليهما دين الاسلام وهما اخلاص العمل لله وحده وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى « ليبلوكم ايكم احسن عملا »**

قال « اخلصه واصوبه » قيل يا ابا علي ما أخلصه واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ، حتى يكون خالصا صوابا فالخالص ما كان لله

Made With Pdf Office

والصواب ما كان على السنة ، وقال شارح الطحاوية : توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل سبحانه وتوحيد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيوحده صلى الله عليه وسلم ، بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما يوحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل ٠

محله : ومحل الاخلاص القلب فهو حصنه الذي يقطن فيه فمتى كان صالحا عامرا بسكناه وحده تبع ذلك صلاح الجوارح ومتى كان خرابا سكن فيه الرياء وملاحظة الناس وكسب ودهم وتحصيل ثنائهم والطمع فيما عندهم ويتبع ذلك سعي الجوارح لتحصيل هذه الاغراض الدنية وليس ادل على ذلك واوضح بيانا من قوله صلى الله عليه وسلم « الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب » وقد اوضح صلى الله عليه وسلم هذا المعنى وبين تبعية الجوارح لما يقوم بالقلب بقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه ٠

والاخلاص مطلوب في الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي كل ما شرعه الله من قول او فعل فيقوم الانسان بتأدية ما شرع له والباعث له عليه امتثال امر الله خوفا من عقابه وطمعا فيما لديه من الاجر والثواب ٠

والاخلاص مطلوب ايضا فيما يلتزمه الانسان من الاعمال فهو مطلوب من العامل ومن المستشار والمؤتمن والموظف ومن المعلم والمتعلم وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ما يترتب على طلب العلم مع الاخلاص فيه من النتائج الحميدة وما يترتب على فقد الاخلاص فيه من العواقب الوخيمة بقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة » رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه وروى عنه أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن فيك قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قاريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار ٠ الحديث ٠

ويروى ان معاوية رضي الله عنه لما بلغه هذا الحديث بكى حتى أغمى عليه فلما افاق قال صدق الله ورسوله قال الله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون اولئك الذينليس لهم في الاخرة الا النار » ويقول ابن مسعود رضي الله عنه لا تعلموا العلم لثلاث لتماروا به السفهاء او لتجادلوا به الفقهاء او لتصرفوا وجهة الناس اليكم وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند

Made With Pdf Office

الله فانه يبقى ويذهب ما سواه ٠

الحث عليه وبيان فضله :

ولما كان الاخلاص بهذه المنزلة التي تقدم وصفها جاء الشرع المطهر في الحث عليه والترغيب فيه وبيان فضله في آيات كثيرة واحاديث عديدة نذكر بعضها على سبيل التمثيل فمن ذلك قوله تعالى « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا له الدين الخالص » وقوله « قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين » وقوله « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء » وقوله الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم له » الاية ٠٠ وقوله « قل انصلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » وقوله « فمن كان يرجولقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله « قل الله اعبد مخلصا له ديني » ٠

ومن الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في غزوة تبوك ان بالمدينة رجالا ما سرتم سيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض وفي رواية الا شركوكم في الاجر متفق عليه واللفظ لمسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك متفق عليه ٠

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم رواه مسلم ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ٠٠ جوابا لمن سأله عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يكتسبه الانسان في الدنيا بسبب الاخلاص الى جانب ما اعده الله له في الاخرة من المثوبة بما ذكره صلى الله عليه وسلم من قصة الثلاثة الذين اووا الى غار للمبيت فيه فانحدرت صخرة وسدت عليهم باب الغار ففرج الله عنهم ذلك بسبب اخلاصهم الاعمال الصالحة له سبحانه وتعالى ٠

ما يضاد الاخلاص وبم تحصل السلامة منه :

وكما ان الاخلاص تصفية الشيء مما يشوبه فاذا ام تحصل تصفيته انتفى الاخلاص ٠

اذا قام الانسان بعمل محمود والباعث له عليه ابتغاء وجه الله سمى مخلصا وسمى عمله اخلاصا فاذا فقد ذلك الباعث على العمل او وجد ولكنه مشوب بباعث آخر كالرياء انتفت التسمية فاخلاص العمل لله وحده ينافيه ويقابله ان يحل في القلب قصد المخلوقين التماسا لحمدهم وثنائهم وطمعا فيما عندهم ولما كان ذلك ينافي الاخلاص جاءت الشريعة الاسلامية بذم الرياء ومقت المرائين فقد قال سبحانه « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون واخبر ان الرياء من صفات المنافقين فقال : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس وروى مسلمعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول

Made With Pdf Office

الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى « انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه ·

ومن ابتلاه الله بهذا الداء العضال فعليه ان يسعى في تحصيل الادوية النافعة التي تستأصله وتقضي عليه ومن ابرزها شيئان احدهما ان يزهد فيما ينتظر من الناس من الثناء والعطاء والثاني ان يحمل نفسه على اخفاء الاعمال وقد اوضح الاول منهما ابن القيم في الفوائد ص ١٤٨ فقال ـ لا يجتمع الاخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس الا كما يجتمع الماء والنار والضب والحوت فاذا حدثتك نفسك بطلب الاخلاص فاقبل على الطمع اولا فاذبحه بسكين الناس واقبل على المدح والثناء فازهد فيها زهد عشاق الدنيا في الاخرة فاذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الاخلاص ·

فان قلت وما الذي يسهل على ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح قلت أما ذبح الطمع فيسهل عليك علمك يقينا انه ليس من شيء يطمع فيه الا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه واما الزهد في الثناء والمدح فيسهل عليك علمك انه ليس احد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين الا الله وحده كما قال ذلك الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم ان مدحي زين وذمي شين فقال ذلك الله عز وجل ـ فازهد في مدح من لا يزينك مدحه ولا يشينك ذمه ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه ولن تقدر على ذلك الا بالصبر واليقين فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن اراد السفر في البحر في غير مركب قال تعالى « فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » وقال تعالى « وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون انتهى كلام ابن القيم رحمه الله وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى اخفاء العبادة ابتعادا عن الريا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الحديث المتفق عليه في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله » ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ··

فالحاصل ان العمل مذموم اذا كان الباعث عليه التماس حمد الناس وثنائهم والطمع فيما عندهم اما اذا عمل الانسان العمل خالصا لله ثم القى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بسبب ذلك العمل فارتاح لذلك واستبشر به لم يضره ولم ينقص من اجره بدليل انه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرجل يعمل العمل من المحبة لله فيحمده الناس عليه قال ـ تلك عاجل بشرى المؤمنين ، رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه ·

Made With Pdf Office